إنجيل متى ١١: ٢-٣٠

رفض المسيا

تأليف: تومي ساوث

« أما يوحنا، فلما سمع في السجن بأعمال المسيح، أرسل اثنين من تلاميذه، وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظرا: العمى يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون والموتى يقومون، والمساكين يبشرون. طوبى لمن لا يعثر فيّ ... » (متى ١١: ٢-٣٠).

في الأصحاحات من ١ إلى ١٠ أوضح متى بجلاء هوية وشخصية يسوع. هو المسيح بلا شك، ومسيا إسرائيل، وابن الله. عندما بدأ متى قسم جديد من إنجيله، يعتبر هوية يسوع أمر لا جدل فيه، ولا يأخذ وقت لإثباته: « أما يوحنا، فلما سمع في السجن بأعمال المسيح، ... » (متى ١١: ٢). بعد ما أوضح متى هوية يسوع، واصل ليبين كيف رُفِضَ يسوع من قبل شعبه بغض النظر عن وضوح هويته.

يحتوي الأصحاح الحادي عشر على عدة مواضيع رئيسية ذات صلة بعدم إيمان إسرائيل ورفضهم المسيا.

هوية يسوع الواضحة (متى ١١: ٢-٦)

اننا على استعداد إلى حد ما لشكوك اليهود في يسوع، ولكن السؤال الذي طرحه يوحنا المعمدان فاجئنا: « أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ » (متى ١١: ٣). ما هو السبب في هذا الشك من جانب يوحنا؟ أليس هو الذي قال: « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم! » (يوحنا ١: ٢٩)؟ ألم يكن حاضراً عندما انفتحت السموات وسُمِعَ صوت الله قائلاً: « هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ»؟ فلماذا يشك الآن ويتحير في من يكونَ يسوع؟

نعرف من إنجيل متى ٣: ٧-١٠ ان يوحنا كرز بدينونة آتية. والآن بمجيء المسيا، ربما قد ظن انها وشيكة الحدوث. ولكنها لم تحدث. والآن، قد وضع يوحنا في السجن، وبتصوير أحداث المسيا، من المحتمل انه بدأ يتسائل: « أنت... أم... » كان رد يسوع هو دعوة أكثر منها إجابة - « لترا بنفسكما! هنا كل الدلائل معروفة للجميع بصفة عامة - قررا ماذا تقولا ليوحنا ». الدليل الذي أدلى به يسوع في الآيتين ٤ و٥ يشير إلى أحداث كانت تقع بتكرار في خدمته. وكانت أيضاً الأحداث التي تم التنبوء عنها في الأصحاحين الخامس والثلاثون والحادي والستون من سفر إشعياء النبي ذات صلة بمجيء المسيا. بما ان هذه الوقائع تحدث الآن بواسطة يسوع، فهذا يشير إلى انه « هو الآتي ». ولأن هذا الأمر كان واضحاً، نطق بالبركة على « مَن لا يعثر فيّ» (متى١١: ٦). لا توجد هناك أسباب مقنعة لأي شخص يعرف التنبوءات عن المسيا دون أن يرى هذه الحقيقة!

هل يوجد أي سبب مقنع الآن؟ عندما يرى أحد النور والصلاح اللذين أتى بهما يسوع إلى العالم، هل ينكر بصدق انه مختار الله؟ من ذا في تأريخ العالم كله له نفوذ فعال على حياة البشر لعمل الصلاح بعد ألفين سنة؟

عدم إيمان إسرائيل المتقلقل (متى ١١: ٧-١٩)

عدم معرفة هوية ونوايا يسوع لم يكن بالشيء الجديد على قادة الدين عند اليهود.

وقد أساءوا فهم يوحنا أيضاً. وبخهم يسوع {جعلهم يسوع يفكرون بتحكم؟} بسبب حماقتهم. ماذا توقعوا عندما خرجوا إلى البرية ليروا يوحنا المعمدان؟ من الواضح ان يوحنا لم يفي بتوقعاتهم، فقال يسوع لأنه كان أفضل مما ظنوه ان يكون. لم يكن مجرد «نبي»، بل «أفضل من نبي»! انه كان رسولاً مختاراً بصفة خاصة من قبل الله، وقد أُرْسل لكي يهيء الطريق للمسيا. وبسبب تشكّكهم، شبه يسوع هؤلاء القادة العميان بأولاد يلعبون في الأسواق (متى ١١: ١٦-١٩). مهما حدث لا يرضيهم! يصرون دائماً على طريقتهم الخاصة. كان يوحنا زاهداً، يحرم نفسه من التمتع بالمأكولات والمشروبات العادية، فإستخلصوا ان به شيطان. وجاء يسوع يأكل ويشرب كإنسان عادي، فاتهموه بانه أكول، وشريب خمر، ومحب للناس غير المرضي عنهم! كانوا مثل الزوج غير العاقل يطلب بيضتين للفطور ان تكون الواحدة مسلوقة والأخرى مقلية {بالزيت}، ومن ثم يغضب على الزوجة لأنها قليت البيضة التي لم يقصد!

لم تكن المشكلة هي عدم في وجود دليل مقنع - بل ان اليهود هم الذين قرروا أن لا يؤمنوا. الإيمان هو قرار. عندما تصغي هيئة المحلفين إلى دعوى قضائية في المحكمة، يطلب منهم أن يدلوا بقرارهم في الدعوى القضائية المعنية بناءاً على الدلائل المقدمة. هل يمكن تصديق الشهود؟ هل تم الحصول على كل الحقائق؟ هل هناك مجالاً للشك؟ عليهم ان يقرروا ما إذا كانوا يصدقون أم لا يصدقون ما قد رأوا وسمعوا. هكذا أيضاً فإن عدم الإيمان هو قرار. سلط يسوع الضوء على هذا عندما قال: «وإن أردتم أن تقبلوا... من له أذنان للسمع فليسمع» (متى ١١: ١٤ و١٥).

هذا الحديث نفسه ينطبق علينا اليوم. إن شئت أن تؤمن، يمكن أن تؤمن. وإن لم تشاء، فلن تقنعك كمية الدلائل مهما كانت. كما ان معجزات يسوع لم «تثبت» شيئاً لهؤلاء غير المؤمنين الذين شاهدوها، هكذا أيضاً لا يثبت سجل الأسفار المقدسة شيئاً للذين لا يريدون ان يؤمنوا. وضع بولس التشديد على هذه الحقيقة العظيمة في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٨، عندما قال بان الإنجيل هو «رائحة زكية» للحياة لبعض الناس وجهالة لآخرين.

توبيخ عدم الإيمان
(متى ١١: ٢٠-٢٤)

الآيات من ٢٠ إلى ٢٤ هي توبيخ لبعض من المدن التي صنع فيها يسوع «أكثر قواته». كانت كورزين، وبيت صيدا، وكفرناحوم ثلاثة مدن على الشاطي الشمالي من بحر الجليل، مشهد لكثير من معجزات يسوع (على سبيل المثال: مرقس ٦: ٤٥؛ ٨: ٢٢؛ لوقا ٩: ١٠؛ يوحنا ١: ٤٤). وكان قد سكن في كفرناحوم! (أنظر متى ٤: ١٣؛ مرقس ٢: ١؛ لوقا ٤: ٢٣؛ يوحنا ٦: ٢٤). ولكن ذلك لم يجعل المدينة ترتفع إلى السماء (متى ١١: ٢٣). ولكن بالعكس، ستهبط إلى الهاوية! بغض النظر عن الأعمال العظيمة التي صنعها يسوع في هذه المدن، فقد رفضت بعناد ان تؤمن. لأنه لو صنعت مثل هذه الأعمال «في صور وصيداء» مدينتان من مدن الأمم، لتابتا دون تردد. لماذا؟ لأنها لا تحيز بأفكارها ضد الدلائل. لاستجابت حتى سدوم الشريرة بطريقة أفضل مما فعل شعب الله المختار! إن رفض المسيا هو جريمة خطيرة جداً. بحيث تكون لسدوم في الدينونة حالة أفضل من المدن التي كان لديها كل الفرص المتاحة لكي تؤمن، ومع ذلك رفضت ان تؤمن. على الأقل كما كانت سدوم شريرة (أنظر تكوين ١٩)، لم يروا المسيح على الأقل.

كل من يسمع إنجيل يسوع ويرفض ان يؤمن به، يحمل حمولة إضافية إلى الدينونة. «... فكل من أعطي كثيراً، يطلب منه كثير ...» (لوقا ١٢: ٤٨). قد أعطي لمعظمنا «كثيراً» عن طريق الفرص للسمع وللإيمان، لا يوجد لدينا أي سبب لعدم الإيمان بهوية مخلصنا. إن لا نؤمن، لا نلقي اللوم على شخص آخر، بل علينا نحن. فالدلائل كافية إن شئنا.

الدعوة إلى المتواضعين
(متى ١١: ٢٥-٣٠)

قد نظن بان يسوع قد ينصرف بغضب بسبب عدم الإيمان وغلاظة القلوب مثل هذه، ولكن على العكس، استمر يدعو الذين يتبعونه (متى ١١: ٢٨)، وهذه إشارة أخرى إلى نعمته العجيبة للخطاة. أمور الله معلنة «للأطفال» (١١: ٢٥)، الذين تواضعوا بما فيه الكفاية ليقبلوها، في تباين مع الأولاد المتقلقلين المذكورين في متى ١١: ١٦ و١٧. أشار وليم باركلي بان يسوع لا يدين هنا القوة الفكرية وإنما كبرياء الفكر «الحكماء والفهماء» الذين لا يستطيعون رؤية الحقائق الروحية، هم كما يصفهم أ. ب، بروس: «أمناء حكمة إسرائيل المقبولة»، وقادتهم الدينية. وبالمقابل، «الأطفال» هم الذين لا يعرفون تقاليد الكتبة ولكن يصغون إلى صوت الله. علينا أن نتذكر ان «الحكماء والفهماء» قد أُخْفِي عنهم أمور الله ليس بإرادة الله بل بإرادتهم. أُخْفِيت عنهم بسبب عدم إيمانهم. عندما نرفض ان نقبل الحق، نجعل أنفسنا «عميان» (يوحنا ٩: ٤٠ و٤١). يتوقف كل هذا على ما نفعله بالابن: «... وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له» (متى ١١: ٢٧). حياة وموت، سماء وجحيم، الوجود مع الآب إلى الأبد، أو بدونه إلى الأبد - يتوقف الكل على رغبتنا لنؤمن ونطيع الابن.

انها إرادة الذين دعيوا ليأتوا في الآيات من ٢٨-٣٠. دعى يسوع «جميع المتعبين والثقيلي الأحمال» ليأتوا إليه ويستريحوا. كان كثيرون في أيام يسوع منهوكين ببحثهم عن الله وبأحمال وضعها عليهم آخرون.[1] اليوم مازال يوجد مثل هذا الحبس لحريات الناس الدينية بعدد لا يحصى من شرائع وقوانين وعقائد وفرائض ولوائح، إلخ. ولكنك في يسوع تقف وترتاح، عالماً انه باتباعه قد وجدت كل ما يمنحك به الله. لهذا السبب أنت مدعو «لتحمل نيره»، علامة الخضوع إليه، وهذا غير ثقيل ولكن «سهل» و«خفيف». إتباع يسوع لا يجعلنا نسقط من شدة الحمولة - بل يحررنا ويعطينا راحة. انه أسهل بكثير من أحمال الخطية، ذنب، فوضى، الدينونة المحتومة عند رفضه.

الخلاصة

قال معظم الذين رأوا وسمعوا في أيام يسوع: «لا» لدعوة يسوع المحبوبة. ما زال كثيرون يرفضون اليوم. ولكن يمكن أن تقول: «نعم»، فتقبل بركاته التى لا تُحصى بقرارك ان تؤمن.

تطبيق الكتاب المقدس في الحياة

رؤية الكل

ذهب ثلاثة رجال عميان ليروا فيل. وضع الأول يده على جانب الفيل وشكل له انطباعة عن الفيل. ووضع الثاني يده حول رجل الفيل، وظن انه يدرك صورة الفيل في عقله. ومسك الثالث ذنبه وتخيل بذلك شكل الفيل. وعندما رجعوا إلى البيت، قارنوا انطباعاتهم . قال الأول: «الفيل مثل حائط كبير؛ فقد لمسته بيدي». وقال الثاني: «أظن ان الفيل مثل جذع شجرة. فقد مسحت يدي عليه صعوداً ونزولاً». أما الثالث فقال: «ظننت ان الفيل مثل حبل؛ فقد أمسكته». كان كل منهم صحيحاً بمفهوم ما، ولكن كان لكل منهم انطباعاً قليلاً جداً. إذا أخذت حائط وأضفت إليه أربعة جذوع شجر وحبل في طرف واحد بالإضافة إلى رأس فيل في الطرف الآخر، ستحصل على صورة تكون أكثر انسجاماً مع فيل حقيقي.

---

[1] يُرى هذا في متى ٢٣:١-٤، حيث اتهم يسوع الكتبة والفريسيين انهم يضعون أحمالاً ثقيلة على أكتاف الناس، ولكن لا يفعلون شيئاً لتقليل حمولتهم.

يسوع التاريخي

قال ويل دوراند في كتابه بعنوان « تاريخ المدنية » انه لم يكن هناك نكران لوجود يسوع حتى في أوساط الأمم واليهود الرافضين للمسيحية في عهدها الأولى.

العطاء

« لأن الطعاء هو حياة » هكذا قال الملاك.
« اذهب واطعم الجياع خبز الاحسان ».
« هل عليّ ان استمر أعطي وأعطي؟ »
هكذا قالت أنانيتي وروحي المحب للخصام.
قال الملاك « كلا » وهو يوخزني،
« أعطي فقط حتى يتوقف الرب عن عطائه لك ».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧